مكتب إتقان
للتحقيق والدراسات العلمية

عشر صفات للحج المبرور

إعداد
عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر
غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين أجمعين



للاستماع إلى المادة صوتيًا
امسح الرمز أدناه

الطبعة الأولى
١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدُ لله الذي فرضَ الحجَّ على عبادِه إلى بيتِه الحرامِ، ورتَّبَ ﷻ على ذلك وافرَ الأجرِ وجزيلَ الإنعامِ، فمَنْ حجَّ البيتَ ولم يرفُثْ ولم يفسُقْ؛ رجَعَ مِن ذنوبِه كيومَ ولدته أمُّه طاهرًا نقيًّا مِنَ الذُّنوب والآثامِ.

وأشهدُ أن لا إله إلَّا الله، وَحْدَه لا شريكَ له، ذو الجَلالِ والإكرامِ، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه؛ خيرُ مَن حَجَّ البيتَ واعتمرَ، وخيرُ مَنْ صلَّى لله وصام، صلَّى الله وسَلَّمَ عليه وعلى آلِه وأصحابِه الهُداةِ الأعلامِ.

أمَّا بعد:

فإنَّ **الحجَّ المبرور** من أفضل الأعمال وأزكاها وأطيبِها وأحبِّها إلى الله ﷻ، ويترتَّب عليه من الأجور العظيمةِ، والأفضالِ الكريمةِ والخيرات العَميمة في الدنيا والآخرة؛ ما لا يُعَدُّ ولا يُحصى.

وقد أخبر النبيُّ ﷺ أنَّ الحجَّ المبرورَ ليس له جزاءٌ إلا الجنَّة فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**العمرَةُ إلى العمرَةِ كفَّارَةٌ لِما بَينهُما، والحَجُّ المَبرُورُ ليس لَهُ جَزاءٌ إِلَّا الجنَّةُ**»[(١)].

ولمَّا قيل له ﷺ في حديثٍ آخرَ: يا رَسُولَ اللهِ؛ أَيُّ الأَعمالِ أَفضَلُ؟ قال: «**الإِيمانُ بِاللهِ**»، قال: ثُمَّ ماذا؟ قال: «**الجِهادُ في سَبيلِ اللهِ**»، قال: ثُمَّ ماذا؟ قال: «**ثُمَّ الحجُّ المَبرُورُ**»[(٢)].

وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسولَ اللهِ، نَرىٰ الجِهادَ أَفضَلَ العَمَلِ، أَفلا نُجاهِدُ؟ قال: «**لا، لَكِنَّ أَفضَلَ الجِهادِ حَجٌّ مَبْرُورٌ**»[(٣)].

ولمَّا كان النَّاس يتفاوتون في القيامِ بهذه الشَّعيرةِ وهذا الرُّكن تفاوتًا عظيمًا، ولم يكونوا في حجِّهم ولا في غيرِه علىٰ دَرَجةٍ واحدةٍ، بل حَظُّ كُلِّ عبدٍ مِن كمالِ حَجِّه بحَسَبِ حَظِّهِ مِن إِكمالِه وتتمِيمِه، والقِيام بأَركانِه وواجباتِه وشُروطِه وما يتَّصِلُ بذلك؛ كان حَرِيًّا بالعبدِ المُوَفَّقِ أن يعرِفَ: **ما هذا الحجُّ المبرورُ؟ وما صفاتُه؟ وكيفَ يتمُّ تحقيقُه؟ وما أبرزُ علاماتِه؟** لينال بذلك هذه الأجورَ العظيمةَ، والثَّوابَ الجزيلَ المترتِّب علىٰ هذا الحجِّ، والموفَّق من وفَّقه الله تبارك وتعالى.

---

(١) أخرجه البخاريُّ في «صحيحه» (١٧٧٣)، ومسلم في «صحيحه» (١٣٤٩).

(٢) أخرجه النسائيُّ في «المجتبىٰ» (٢٦٢٤)، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه البخاريُّ في «صحيحه» (١٥٢٠).

معنى الحَجِّ المَبرُور

۞ بيَّن النبيُّ ﷺ في الحديث السَّابقِ أنَّ «**الحَجّ المَبـرُور ليسَ لَهُ جَزاءٌ إِلَّا الجنَّةُ**»[١]، فجاءَ هذا الثَّوابُ العظيمُ -وهو الجنَّة- مُقيَّدًا بأنْ يكونَ الحجُّ مبرورًا.

وفي ذلك إشارةٌ إلى أنَّه ليسَ كلُّ مَن حجَّ يكون حجُّه مبرورًا، بل من الحَجِيجِ من قد ينقصُ البرُّ في حجِّه؛ لتفاوت النَّاس في ذلك.

وقد تنوَّعت عباراتُ أهلِ العلمِ في بيان معنى البرِّ، وفي المراد بالحجِّ المبرورِ الوارد فضلُه في الأحاديثِ.

قال ابنُ بَطَّالٍ رحمه الله: «**والحجُّ المَبرورُ**: هو الذي لا رياءَ فيه ولا رفثَ ولا فسوقَ، ويكونُ بمالٍ حلالٍ»[٢].

وقال ابنُ عبدِ البرِّ رحمه الله: «وأمَّا قولُه: «**الحَجُّ المَبرورُ**» فهو الحَجُّ المُتقبَّل»[٣].

---

(١) أخرجه البخاريُّ في «صحيحه» (١٧٧٣)، ومسلم في «صحيحه» (١٣٤٩).

(٢) «شرح صحيح البخاري» (٤/ ٤٣٥).

(٣) «الاستذكار» (٤/ ١٠٤).

وقال القاضي عِياض رحمه الله: «قال شَمْر: هو الذي لا يُخالِطُه شَيءٌ مِنَ المأثمِ، كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧].

ومنه: «برَّتْ يمينُه» إذا سَلِمَ مِنَ الحِنْثِ، و«برَّ بيْعُهُ» إذا سَلِمَ مِنَ الخِداعِ والخلابَة».

وقال الحربيُّ: « **(بُرَّ حَجُّك)** بضم الباء، و **(بَرَّ اللهُ حجَّك)** بفتحها: إذا رجعَ مَبرورًا مأجُورًا، وقيل: المبرورُ: المُتقبَّلُ.

وفي الحديث: سُئِلَ رسول الله ﷺ ما بِرُّ الحَجِّ؟ قال: «**إِطعامُ الطَّعامِ، وطِيبُ الكلامِ**»، فعلىٰ هذا يكونُ مِنَ البرِّ الذي هو: فِعلُ الجَميلِ فيه والبذلُ منه؛ ومنه: «بِرُّ الوالدين والمؤمنين»، ويكون أيضًا في هذا كلِّه بمعنىٰ: **الطَّاعة**.

ويكون بمعنىٰ: **الصِّدق**، وضِدُّه: الفُجُور، ومنه: «برَّتْ يمينُه»؛ فيكون «**الحجُّ المَبرُور**»: الصَّادق الخالص لله سبحانه وتعالى علىٰ هذا»[١].

وعن ثورِ بن يزيدَ قال: «مَن أَمَّ هذا البيتَ ولم يكن فيه ثلاثُ خِصالٍ لم يَسْلَمْ له حَجُّه: من لم يكن له حِلْمٌ يضبِطُ به جهلَه، ووَرَعٌ عمَّا حرَّم الله عليه، وحُسْنُ الصُّحبةِ لمَن صَحِبه»[٢].

(١) «إكمال المعلم» للقاضي عياض (١/ ٣٤٧).

(٢) انظر: «الحِلم» لابن أبي الدنيا (٥٣)، و«الاستذكار» لابن عبد البر (٤/ ١٠٥).

وقال النَّوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الأصَحُّ الأَشهرُ: أنَّ المَبرورَ هو الذي لا يُخالِطُه إِثمٌ، مأخُوذٌ مِنَ البِرِّ؛ وهو: الطَّاعة، وقيل: هو المقبول»(١).

وقال القُرطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقال الفقهاءُ: الحَجُّ المَبـرُورُ هو الذي لم يُعصَ الله تعالىٰ فيه أثناء أدائه.

وقال الفرَّاء رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو الذي لم يُعصَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعده».

قال القُرطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد نقله أقوالَ العلماءِ: «**قلتُ**: الحجُّ المبرورُ هو الذي لم يُعص الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيه، لا بعده».

قال الحسنُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**الحجُّ المَبرورُ** هو: أن يرجِعَ صاحبُه زاهِدًا في الدنيا، راغِبًا في الآخرةِ، وقيل غير هذا»(٢).

وهذه العبارات السابقةُ متقاربةٌ في بيانِ المرادِ بالحجِّ المَبرورِ، ولذا قال أبو العباس القرطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذه الأقوالُ كلُّها متقارِبةُ المعنىٰ، وهو: أنَّه الحجُّ الذي وفِّيتْ أحكامُه، ووَقَع موافِقًا لما طُلِبَ مِنَ المُكَلَّفِ علىٰ الوَجْهِ الأكملِ، والله تعالىٰ أعلم»(٣).

---

(١) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (٩/ ١١٨-١١٩).

(٢) انظر لما سبق: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (٢/ ٤٠٨).

(٣) «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٣/ ٣٨٢).

صِفاتُ الحَجِّ المَبرُورِ

دلَّتِ الأدلَّةُ من الكتابِ والسنَّة على جملةٍ من الصِّفات التي يكون بها الحجُّ مبرورًا ويتحقَّق بها بِرُّ الحجِّ، أُجملها في عشر صفاتٍ:

۞ الأُولى: أن يكونَ الحَجُّ خالِصًا لله تبارك وتعالى.

وذلك بأن لا يُبتغى به إلا وَجْهُ الله عز وجل؛ لأنَّ الحجَّ قربةٌ وطاعةٌ من أمَّهات الطاعات والقُربات الدينيَّةِ الجليلة؛ فيشترطُ فيه ما يُشترط في كُلِّ عبادةٍ؛ أن يبتغيَ بها العامِلُ وجهَ الله تبارك وتعالى؛ كما قال الله عز وجل: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ﴾ [الزمر:٢-٣].

قال الله عز وجل في الحجِّ: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٩٦].

فمِنْ آكد الواجبات على الحاجِّ الذي يُريدُ البرَّ في حجِّه؛ أن يراعيَ الإِخلاصَ فيه لله تبارك وتعالى مِنْ أوَّله إلى آخره؛ فذلك مَطْلَبٌ عزيزٌ، ومَقْصدٌ جليلٌ.

ولهذا قال نبيُّنا الكريمُ ﷺ حينما أهلَّ بالحَجِّ: «**اللَّهُمَّ حَجَّةٌ لا رِياءَ فيها، ولا سُمْعَةَ**»[1].

فالرياءُ والسُّمْعَةُ هما أشدُّ ما يخدِشُ الإخلاصَ، ويُحبِطُ ثوابَ العملِ؛ لأنَّ اللهَ ﷻ لا يقبلُ العملَ إلَّا إذا كان صافِيًا نقيًّا؛ كما قال الله سبحانه وتعالى في الحديثِ القُدسيِّ: «**أَنا أَغْنى الشُّرَكاءِ عَنِ الشِّرْكِ؛ مَن عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فيهِ مَعِيَ غَيرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»[2].

ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٨-١٩].

فالواجبُ على مَن أكرمَهُ الله سبحانه وتعالى بالحجِّ أن يراعيَ في أعمالِه وأقوالِه كلِّها الإخلاصَ، فيفعلُ النُّسُكَ وهو لا يبتغي إلا وجهَ الله ﷻ، فحينما يلبِّي أو يكبِّرُ أو يدعو أو يطوفُ أو يسعى يحرِصُ على تجنُّبِ الرِّياءِ والسُّمعةِ وإرادةِ الدُّنيا، ويُجاهِدُ نفسه على الإخلاص لله سبحانه وتعالى.

ولهذا كانت تلبيةُ رسول الله ﷺ متضمِّنَةً لتقريرِ التَّوحيد والإخلاص لله سبحانه وتعالى في كلماتها، والبراءة من الشِّرك، فقد قال

---

(١) أخرجه ابن ماجه في «سننه» (٢٨٩٠).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٢٩٨٥).

جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في بيانِهِ لتلبيةِ النَّبيِّ ﷺ: «فأَهَلَّ بالتوحيد: **لَبَّيكَ اللَّهُمَّ لَبَّيك، لَبَّيكَ لا شَريكَ لك لَبَّيك، إِنَّ الحَمدَ والنِّعمَةَ لكَ والمُلكَ لا شَرِيكَ لَكَ**»(١).

فعلىٰ الملبِّي الذي أكرمَه الله عز وجل بالتَّلبيةِ بهذه الكلمات العظيمةِ أن يستحضرَ معانيَها، وأن يعيَ دلالاتِها، وأن يسعىٰ في تحقيقِ التَّوحيدِ الذي دلَّت عليه؛ فلا يسألُ إلا الله عز وجل، ولا يستغيثُ إلا بالله عز وجل، ولا يذبَحُ إلا لله عز وجل، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنعام:١٦٢].

الثانيةُ: أن يكونَ الحَجُّ موافِقًا للسُّنَّةِ:

فمِن صِفات الحَجِّ المَبرورِ أن تكونَ أعمالُه موافقةً للسُّنَّةِ، وقد قال النبيُّ ﷺ: «**لِتَأْخُذوا مناسككُم**»(٢).

فعليك -أخي الحاج- أن تعلمَ أنَّ الفلاحَ والسَّعادةَ في الدُّنيا والآخرةِ إنَّما هي باتباعِ هَدْيِ النبيِّ ﷺ والتقيُّدِ بسنَّتِه، وأنَّ كلَّ عملٍ جاءَ مخالفًا لهديه ﷺ فهو مردودٌ غير مقبولٍ، كما قال ﷺ: «**مَنْ عَمِلَ عملًا ليسَ عليه أمرُنا فهو رَدٌّ**»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (١٢١٨).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (١٢٩٧).

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» (١٧١٨).

ولهذا كان الصَّحابةُ أشدَّ النَّاسِ اقتفاءً لسنَّةِ النبيِّ ﷺ وهديه وأفعالِه في مناسكِ الحجِّ، **ومن ذلك**:

۞ قولُ يعلى بنِ أُميةَ رضي الله عنه: «طُفتُ معَ عمرَ بنِ الخطَّابِ فاسْتَلَمَ الرُّكنَ، فكُنتُ مِمَّا يلي البيتَ، فَلَمَّا بلَغْنا الرُّكنَ الغَربِيَّ الذي يلي الأَسوَدَ، جَرَرْتُ بيدِهِ لِيَستَلِمَ، فقال: «**ما شأْنُكَ؟!**»، فَقُلْتُ: أَلا تَسْتَلِمُ؟! قال: «**أَلَمْ تَطُفْ مع رسولِ اللهِ ﷺ؟**» فقُلتُ: بلى، فقالَ: «**أَفرَأَيتَهُ يَستَلِمُ هذينِ الرُّكنينِ الغَربِيَّيْنِ؟!**»، فقُلْتُ: لا، قال: «**أَفليْسَ لَكَ فيهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ؟**» قُلْتُ: بلى، قال: «**فانْفُذْ عَنْكَ**» »[١].

فبيَّنَ أميرُ المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ وهو القدوةُ والأُسوةُ لم يستلمْ ويمسحْ شيئًا من أركان الكعبة إلا الحجرَ الأسود والركنَ اليماني، وقال رضي الله عنه: «**أَفَلَيْسَ لَكَ فِيهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ؟!**».

۞ وفي حادثةٍ أخرى له رضي الله عنه في «الصحيحين» أنه قبَّل الحجرَ الأسودَ ثم قال رضي الله عنه مُسْمِعًا مَن حولَه: «**إِنِّي أَعلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لا تَضُرُّ، ولا تنفَعُ، ولَولا أَنِّي رَأَيتُ النَّبِيَّ ﷺ يُقَبِّلُكَ ما قَبَّلْتُكَ**»[٢].

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣١٣).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (١٥٩٧)، ومسلم في «صحيحه» (١٢٧٠).

فنبَّه أميرُ المؤمنين رضي الله عنه بذلك على جانب الاتِّباع في مناسك الحجِّ، وأنَّ الأعمالَ التَّعبدية كلَّها توقيفيةٌ، لا يُفعلُ شَيءٌ منها إلا بدليلٍ وهَدْيٍ ثابتٍ عن الرَّسول ﷺ، ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٢١].

الثالثةُ: أن يعملَ الحاجُّ على تحقيقِ تقوَى الله عز وجل فيه.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [سورة المائدة:٢٧].

وقَد أكثَر اللهُ عز وجل في آيات الحجِّ -على قلَّتها- مِنَ الوَصِيَّةِ بالتَّقوى؛ لأنَّه يحصلُ في الحجِّ كثيرٌ مِن أسبابِ التَّقوى التي لا تتحصَّلُ في غيره.

فقال الله تعالى في سياق آيات الحجِّ من سورة البقرة: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، وفي أثناء الآيات قال سبحانه وتعالى أيضًا: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧]، ثمَّ ختَم الله جل وعلا آياتِ الحجِّ من سورة البقرة بقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

و في سورة الحجِّ قال سبحانه وتعالى: ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، وقال عز وجل: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ﴾ [الحج: ٣٧].

فهذه الوصيَّةُ المتكرِّرة في آيات الحجِّ من الله ﷻ بالتَّقوىٰ تدلُّ علىٰ أهميَّتها وعظيمِ قدرها، وأنَّ علىٰ أولي الألباب الذين أكرمهم الله بتيسير الحجِّ لهم أن يجعلوا تحقيقَ تقواه من أسمىٰ أهدافهم في حجِّهم، وأن يُعمِلوا عقولَهم وألبابَهم في تلك المشاعِر العَظيمة ليَستَفيدوا منها تقوىٰ الله ﷻ، فالحجُّ مدرسةٌ عظيمةٌ للتَّقوىٰ، وبابٌ كبيرٌ من أبوابِها، فكلُّ شعائرِ الحجِّ تُعَدُّ أعظمَ مُعينٍ علىٰ تحقيق تقوىٰ الله سبحانه وتعالى.

۞ الرابعة: تَجنُّبُ الرَّفثِ.

فالحاجُّ الذي يريدُ البرَّ في حجِّه عليه أن يبتعدَ عن كُلِّ ما فيه رَفَثٌ، والرَّفثُ هو: كُلُّ ما يتعلَّقُ بالجِماعِ أو ما يَسْبِقُه مِن مُقَدِّماتِه؛ كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة:١٩٧].

قال الشيخُ السِّعديُّ رحمه الله: «أي: يجبُ أن تعظِّموا الإحرامَ بالحَجِّ، وخُصُوصًا الواقع في أَشهرِه، وتَصُونُوه عن كُلِّ ما يُفسِدُه أو يُنقِصُه؛ من الرَّفث؛ وهو: الجماع ومقدِّماته الفعليَّة والقوليَّة، خصوصًا عند النِّساء بحضرتهن»(١).

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٩١).

۞ الخامسة: تجنُّبُ الفُسُوق:

قال تعالىٰ: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾ [البقرة:١٩٧].

قال القاضي عِياضٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**الفُسُوقُ هنا**: السَّيِّئات، وقيل: المعاصي، وقيل: ما أصاب مِن مَحارمِ الله والصَّيد، وقيل: **الفُسُوق**: قولُ الزُّور، وقيل: الذَّبحُ للأنصابِ»(١).

فيظهرُ ممَّا سبقَ أنَّ الفُسُوقَ يعمُّ كُلَّ ما خرجَ به العبدُ عن طاعةِ الله عَزَّوَجَلَّ بفعلِه لشيءٍ من المعاصي والذنوب.

وإنَّ الحجَّ المبرورَ لا يتحصَّلُ وقد خالَطَه الإِثمُ، وشابَتهُ المعصيةُ، لذلك وجبَ علىٰ الحاجِّ النَّاصِحِ لنفسِهِ أن يجتَنِبَ في حجِّهِ جميعَ الذنوب والآثام.

۞ **ويدخل في ذلك** -كما نبَّه أهل العلم-: الذنوب التي كان عليها المسلمُ قبل حجِّه، واعتاد علىٰ فعلها، فهذه يجبُ عليه أن يتوبَ منها إن أرادَ أن يكونَ حجُّه مبرورًا، أمَّا مَن كان مصِرًّا علىٰ فعلِ الآثام التي ألِفها واعتادَ عليها، ولم يعزِمْ علىٰ تركِها، فهذا نوعٌ من الفُسُوقِ؛ وإن لم يباشر شيئًا منها أثناء حجِّه.

---

(١) «إكمال المعلم» (٤/ ٤٦٢).

۞ **ومِمَّا يدخُلُ في تركِ الفُسُوقِ في الحجِّ**: عدمُ مخالفةِ وليِّ الأمرِ فيما يأمُرُ به مِن تَرتيباتٍ وتوجِيهاتٍ لتنظيمِ وتيسيرِ مناسك الحجِّ، ودفعِ المَهالِكِ والمَخاطِرِ عن المسلمين، فإنَّ نُصوصَ الشَّريعةِ تكاثرتْ في الحثِّ علىٰ طاعةِ وليِّ الأمر وعدمِ مخالفتِهِ؛ كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء:٥٩]، بل إنَّ النبيَّ ﷺ أكَّدَ هذا الأمرَ في موسمِ الحجِّ في عددٍ من خطبِهِ فيه؛ وذلك لبيان أهميَّته، وعظيمِ أثرِه في صلاحِ شُؤون المسلمين.

فعن أَبي أُمَامَةَ رضي الله عنه قال: سمعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَخْطُبُ في حَجَّةِ الوداعِ فقال: «**اتَّقُوا اللهَ رَبَّكُم، وصَلُّوا خَمسَكُم، وصُومُوا شَهرَكُمْ، وأَدُّوا زكاةَ أَموالِكُمْ، وأَطِيعُوا ذا أَمرِكُمْ؛ تَدخُلوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ**»[١].

وعن يَحيىٰ بنِ حُصَينٍ قال: سَمِعتُ جَدَّتي تُحَدِّثُ أَنَّها سَمِعتِ النَّبِيَّ ﷺ يَخطُبُ في حَجَّةِ الوداعِ وهو يقُولُ: «**ولَوِ استُعْمِلَ عليكُم عَبدٌ يَقودُكُم بِكِتابِ اللهِ فاسمَعُوا لَهُ وأَطيعُوا**»[٢].

۞ والنَّصيحةُ الجامعة لك -أخي الحاج- في هذا الباب: أن تستقبلَ حجَّك بالتَّوبةِ الصَّادقة النَّصوح إلىٰ الله سبحانه وتعالى من ذنوبك

---

(١) أخرجه الترمذي في «جامعه» (٦١٦).

(٢) أخرجه مسلمٌ في «صحيحه» (١٨٣٨).

وخطاياك لتنال هذا الأجر العظيم والثَّواب الجزيل، فصِدقُ توبتك يقتضي قبول حجَّتك.

وقد قال النبيُّ النَّاصِحُ الأمينُ ﷺ: «**مَن حَجَّ لله فلم يَرفُثْ ولم يَفْسُقْ رَجَعَ كيومَ ولَدَتهُ أُمُّهُ**»[١].

۞ السَّادسةُ: تجنُّبُ الجِدالِ في الحَجِّ:

الحجُّ مدرسةٌ مُثلىٰ للآدابِ والأخلاقِ، يتربَّىٰ فيها المُسلمُ علىٰ الآدابِ الفاضلةِ، وحُسنِ المُعاملةِ، **ومن ذلك**: البُعدُ عن الجَدَلِ والخُصُومةِ؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة:١٩٧].

قال الشَّيخُ السِّعدي رحمه الله: «والجِدالُ وهو: المُماراةُ والمُنازعةُ والمُخاصَمةُ؛ لكونها تُثِيرُ الشَّرَّ، وتُوقِعُ العَداوةَ، والمقصودُ مِنَ الحَجِّ: الذُّلُّ والانكِسارُ لله، والتقرُّبُ إليه بما أمكنَ مِنَ القُرُباتِ، والتنزُّهُ عن مقارفَةِ السَّيِّئات، فإنَّه بذلك يكون مبرورًا، والمبرورُ ليسَ له جزاءٌ إلا الجنَّة، وهذه الأشياءُ وإن كانت ممنوعةً في كُلِّ مكان وزمانٍ، فإنَّه يتغلَّظُ المنعُ عنها في الحَجِّ»[٢].

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (١٥٢١).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٩١).

السابعةُ: الإِحسانُ إلىٰ الحُجَّاج وإِكرامُهم:

فقد صحَّ عن النبيِّ ﷺ قولُه: «**الحَاجُّ وَالمعتمر وَفْدُ الله، دَعَاهُمْ فَأَجَابُوه، وَسَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ**»[1].

فمِن بِرِّ الحَجِّ أن يُحسِنَ الحاجُّ إلىٰ وَفدِ الله وضُيوفِ الرَّحمن بأنواعِ الإِحسان؛ مِن إِطْعامٍ للطَّعامِ، وسَقْيٍ للماءِ، وإفشاءٍ للسَّلامِ، ولينٍ للكَلامِ، وإِرشادٍ للضَّالِّ، وتعليمٍ للجاهلِ، وإِعانةٍ للمُحتاجِ ونحوِ ذلكَ مِن أنواعِ المَعروفِ.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «ولأحمدَ والحاكمِ من حديثِ جابرٍ رضي الله عنه قالوا: يا رسول الله؛ ما بِرُّ الحَجِّ؟ قال: «إِطْعامُ الطَّعامِ وإِفْشاءُ السَّلامِ»، وفي إسنادِهِ ضَعْفٌ، فلو ثَبَتَ لكان هو المُتَعَيَّن دون غيرِه»[2].

وجاء عن خلَّادِ بن عبد الرَّحمن رحمه الله قال: سألتُ سعيدَ بنَ جُبيرٍ؛ أيُّ الحاجِّ أفضل؟ قال: «مَنْ أطعمَ الطَّعامَ، وكفَّ لسانَه»، قال وأخبرنا الثوريُّ رحمه الله قال: «سمعنا أنَّه مِن بِرِّ الحَجِّ»[3].

---

(١) أخرجه ابن ماجه في «سننه» (٢٨٩٣)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٨٢٠).

(٢) «فتح الباري» (٣/ ٣٨٢).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٨٨١٦).

وجاء في «تاريخ بغداد»: «أنَّ عبد الله بنَ المُبارك رَحِمَهُ اللهُ كان إذا أراد أنْ يَحُجَّ مع إِخوانِه مِن أَهلِ مَرْوٍ يَقُول لهم: «هاتوا نفقاتِكم»، فيأخُذُ نفقاتِهم فيجعلُها في صُندُوقٍ ويُقفِلُ عليها، ثُمَّ يَكتَرِي لَهم، فلا يزالُ يُنفِقُ عليهم ويُطْعِمُهم أطيبَ الطَّعامِ، وأَطْيبَ الحَلْواءِ، ويُخْرِجُهم مِن مَرْوٍ إلىٰ بَغْدَاد بأَحْسَنِ زِيٍّ، وأَجمَلِ مُروءَةٍ ... فإِذا وَصَلُوا إلىٰ مكَّةَ وقَضَوا حَجَّهم قال لِكُلِّ رَجُلٍ منهم: ما أَمرُوك عِيالُك أن تشتَرِيَ لهم مِن متاعِ مكَّة؟ فيقولُ: كذا وكذا، فيشتري لهم، ثُمَّ يُخرِجُهم مِن مكةَ؛ فلا يزالُ يُنفِقُ عليهم إلىٰ أن يَصِيرُوا إلىٰ مَرْوٍ، فإِذا كان بعدَ ثلاثةِ أيَّامٍ صَنَعَ لهم وَليمةً وكساهم، فإِذا أَكَلوا وسَرُّوا، دَعا بالصُّندُوقِ ففتَحَه ودَفَعَ إلىٰ كُلِّ رَجُلٍ منهم صُرَّتَه بعد أن كتبَ عليها اسْمَه»[١].

ويُلحَقُ بالإِحسانِ للحُجَّاج: تَجَنُّبُ أذِيَّتهم، ولذلك كان النبيُّ ﷺ يقول للنَّاس في الحجِّ: «**أَيُّهَا النَّاسُ السَّكِينَـةَ السَّكِينَـةَ**»[٢].

وحينما رأىٰ ﷺ ازدحامَ الحَجِيجِ عند الجمرات قال لهم: «**يا أَيُّها النَّاسُ، لا يَقْتُلْ بَعضُكُم بَعضًا**»[٣].

---

(١) انظر: «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي (١١/ ٣٩٥).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (١٢١٨).

(٣) أخرجه أبو داود في «سننه» (١٩٦٦)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٤٤٥).

وقال النبيُّ ﷺ في الحَجِّ: «**تَدرونَ مَنِ المُسلِمُ؟**» قالُوا: اللهُ ورَسولُهُ أَعلَمُ، قال: «**مَن سَلِمَ المُسلِمُونَ مِن لِسانِهِ ويَدِهِ**»، قال: «**تَدرونَ مَنِ المُؤمِنُ؟**» قالوا: اللهُ ورَسولُهُ أَعلَمُ، قال: «**مَن أَمِنَهُ المُؤمِنونَ علىٰ أَنفُسِهِم وأَموالِهِم، والمُهاجِرُ مَن هَجَرَ السُّوءَ فاجْتَنَبَهُ**»(١).

فالواجبُ علىٰ كُلِّ مُسلمٍ -ولاسيما مَن أَكرَمَه اللهُ بالحَجِّ- أن يُكرِمَ ضُيوفَ الرَّحمن، وأن يحتفيَ بوفد الله ﷻ، وأن يَرعَىٰ لهم حقَّهم ومكانَتَهم، وأن يتعاملَ معهم بأَحسنِ مُعامَلةٍ، وأطيبِ أُسلوبٍ، وأن يتجَنَّبَ أذيَّتَهم، فإنَّ الحَجَّ يربِّي الإنسانَ علىٰ التخلُّقِ بالأخلاقِ الفاضلةِ؛ والإحسانِ إلىٰ الناسِ، والتحلِّي بالصَّبرِ والرِّفقِ، والأناةِ، وحُسنِ المُعاملةِ.

۞ الثامنة: أن يكونَ الحَجُّ بمالٍ حلالٍ.

فمِن صِفاتِ الحَجِّ المَبرورِ: أن يكونَ مِن مالٍ طَيِّبٍ، فيجِبُ علىٰ الحاجِّ أن يتخَيَّرَ لحَجِّه النَّفقةَ الطيِّبةَ والكَسْبَ الحلالَ، وفي الحديث: «**إنَّ اللهَ تعالىٰ طيِّبٌ لا يقبلُ إلا طَيِّبًا**»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٦٩٢٥).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (١٠١٥).

قال الحافظُ ابنُ رَجَبٍ ﵀: «في هذا الحديثِ إشارةٌ إلىٰ أنَّه لا يُقبَلُ العَمَلُ ولا يَزكُو إلا بأَكلِ الحَلالِ، وأنَّ أَكْلَ الحرامِ يُفسِدُ العملَ، ويَمْنَعُ قَبولَه ... وخرَّجَ الطبرانيُّ بإسنادٍ فيه ضعفٌ مِن حديثِ أبي هريرة عن النبيِّ ﷺ قال: «**إذا خرج الرجلُ حاجًّا بنفقةٍ طيبةٍ، ووضع رجله في الغَرْزِ، فنادىٰ: لبَّيْكَ اللهمَّ لبَّيكَ، ناداه منادٍ من السَّماء: لبَّيكَ وسَعْدَيك زادُك حلالٌ، وراحلتك حلالٌ، وحجك مبرورٌ غير مَأْزورٍ، وإذا خرجَ الرَّجُلُ بالنفقةِ الخَبيثةِ، فوضعَ رِجلَه في الغَرْزِ، فنادىٰ: لبَّيكَ اللهمَّ لبَّيك، ناداه منادٍ من السَّماء: لا لبَّيكَ ولا سَعدَيك، زادُك حرامٌ، ونفقتُك حرامٌ، وحجُّكَ غيرُ مَبرورٍ**»[1]... »[2]، ثُمَّ ذكرَ الخِلافَ في حُكمِ مَن حَجَّ بمالٍ حَرامٍ.

وقال الشيخُ ابنُ عُثيمين ﵀ في الأمرِ الرابعِ مِنَ الأُمورِ التي يكون بها الحَجُّ مَبرورًا: «أن يكونَ مِن مالٍ مُباحٍ ليسَ حرامًا، بأن لا يكون رِبًا، ولا مِن غِشٍّ، ولا مِن مَيْسِرٍ، ولا غيرِ ذلك من أنواعِ المفاسدِ المُحرَّمةِ، بل يكونُ مِن مالٍ حَلالٍ، ولهذا قال بعضهم:

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٢٢٨)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٩٢): «فيه سليمان بن داود اليمامي وهو ضعيف».

(٢) «جامع العلوم والحكم» (١/ ٢٦٠-٢٦٢).

إذا حَجَجْتَ بمالٍ أَصلُه سُحْتٌ

فما حَجَجْتَ ولكنْ حجَّتِ العِيرُ.

يعني: الإبلُ حَجَّت، أمَّا أنتَ فما حَجَجْتَ؛ لأنَّ مالكَ حَرامٌ»(١).

فعلى الحاجِّ الذي يرجُو القَبولَ مِنَ الله أن يَحْرِصَ على طِيبِ المَكْسَبِ وطِيبِ النَّفقة.

التاسعة: أن يكثِرَ الحاجُّ مِن ذِكْرِ الله ﷻ في حَجِّه:

قال العلامةُ ابنُ القيِّم رحمه الله: «إنَّ أفضلَ أَهلِ كُلِّ عَمَلٍ أكثرُهم فيه ذكرًا لله ﷻ، فأفضلُ الصُّوَّام أكثرُهم ذكرًا لله ﷻ في صَومِهم، وأَفضلُ المُتصَدِّقين أكثرُهم ذِكرًا لله ﷻ، وأفضلُ الحُجَّاج أكثرُهم ذكرًا لله ﷻ، وهكذا سائر الأعمال»(٢).

ثمَّ أوردَ حديثًا فيه: أنَّ رجُلًا سألَ النبيَّ ﷺ: أيُّ الجِهادِ أعظمُ أجْرًا؟ قال: «**أكثرُهم لله تبارك وتعالى ذِكْرًا**» قال: فأيُّ الصائمين أعظمُ أجرًا؟ قال: «**أكثرُهم لله تبارك وتعالى ذِكْرًا**»، ثُمَّ ذكرَ لنا الصَّلاةَ، والزَّكاةَ، والحَجَّ، والصَّدقةَ؛ كُلُّ ذلك رسولُ الله ﷺ يقولُ: «**أكثرُهم لله تبارك وتعالى ذِكْرًا**»،

---

(١) «شرح رياض الصالحين» (٥/ ٣٢٢).

(٢) «الوابل الصيِّب» (ص١٨١-١٨٢).

فقال أبو بكرٍ لعمر رضي الله عنهما: «يا أبا حفصٍ؛ ذَهَبَ الذَّاكرونَ بِكُلِّ خيرٍ!»، فقال رسول الله ﷺ: «**أجل**»[١].

وهذه قاعدةٌ جليلةٌ شريفةٌ متناوِلةٌ عمومَ العبادات؛ فأعظَمُ النَّاس أجرًا في كُلِّ طاعةٍ أكثرُهم ذكرًا لله فيها، فأكثر الحجَّاج أجرًا عند الله، أكثرهم ذكرًا لله تبارك وتعالى في حَجِّهم، وأكثرُ المُعتمِرين أَجرًا عندَ الله عز وجل؛ أكثرُهم ذِكرًا لله سبحانه وتعالى في عُمْرتِهم، وهكذا في كُلِّ طاعَةٍ.

ولهذا؛ فإنَّ الحُجَّاج، ليسوا في حجِّهم على درجةٍ واحدةٍ، وليس أجرُهُم فيه سواءً؛ لأنَّ فِيهم المكثِرَ مِن ذِكْر الله عز وجل، وفيهم المتوسِّطَ، وفيهم المُقِلَّ، وفيهم الغافلَ اللَّاهي المُعرِضَ؛ والله المستعان.

فينبغي على الحاجِّ، أنْ يحفظَ وقتَه في حجِّه، وأن يَحْرِصَ فيه على الإكثارِ مِن ذِكرِ الله سبحانه وتعالى؛ قراءةً للقُرآن، وتلبيةً، وتسبيحًا، وتحميدًا، وقراءةً لكُتب العلم، ونحو ذلك؛ ليعظُمَ أجرُه في حجِّه وليفُوزَ بالقبول فيه، وبجزيل الثَّواب.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (١٥٦١٤)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٧٤): «فيه زبان بن فائدٍ وهو ضعيفٌ وقد وُثِّقَ، وكذلك ابن لهيعة وبقية رجال أحمد ثقات».

۞ العاشرة: أن يحرِصَ الحاجُّ أثناءَ الحجِّ علىٰ التأمُّل في أَسرارِه وعِبَرِه، والوُقُوفِ علىٰ ما فيه مِن فَوائدَ عاجلةٍ وآجلةٍ.

فالتأمُّلُ في فوائِدِ الحجِّ وعِبَرِه الكثيرةِ مِن أسبابِ برِّه واستقامتِه، وقد أجملها الله ﷻ في قوله: ﴿لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ﴾ [الحج: ٢٨]، فاللَّام في قوله تعالىٰ: ﴿لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ﴾ هي لام التَّعليل وهي متعلِّقةٌ بقولِه ﷻ: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ﴾ [الحج: ٢٧]، أي: يأتون إلىٰ الحجِّ مشاةً ورُكبانًا لأجلِ أن يَشْهَدُوا ويَحْضُروا منافعَ لهم، فالحجُّ مليءٌ بالمنافع العظيمة الدِّينيَّة والدُّنيويَّة، ونكَّرَ المنافعَ في الآية؛ إشارةً إلىٰ تعدُّدِها وتنوُّعِها وكثرتِها.

فجديرٌ بالحُجَّاج أن يشهدوا في حجِّهم المنافعَ العظيمةَ، والدروسَ المتنوِّعةَ، والعِظاتِ المؤثِّرةَ، لتحيَا بذلك قلوبُهم، ويتقوَّىٰ إيمانُهم، وتزكُو نفوسُهم، وتصلُحَ أحوالُهم.

علامةُ الحَجِّ المَبرور

۞ ثمَّ إنَّ هناك علامةً للحجِّ المَبرورِ تظهَرُ بعدَ الحَجِّ؛ وهي: **أن تكونَ حالُ الحاجِّ بعدَ الحَجِّ أَحْسَنُ منها قبلَه**؛ فمَنْ كانتْ حالُه سيئةً قبلَ الحَجِّ فإنَّها تتحوَّل بعده إلىٰ حالٍ حسنةٍ، ومَنْ كانتْ حالُه حسنةً قبلَ الحجِّ تتحوَّل بعدَه إلىٰ أَحْسَن، فهذه مِن علاماتِ قَبولِ الحجِّ ومن دَلالاتِ الرِّضا عن عملِ العبدِ.

فمَنْ كان مُخِلًّا ببعضِ الواجبات وواقعًا في بعض المنهيَّاتِ والمخالفات ثُمَّ وَجَدَ بعد الحَجِّ مِن نفسِهِ إقبالًا علىٰ الله ﷻ، وإعراضًا عن معصيته، ومبادرةً إلىٰ التوبةِ من ذنوبِه؛ فهذه علامةٌ ظاهرةٌ مِن علامات القَبولِ، ودلالةٌ علىٰ الرِّضا عن العمل، وأنَّ الحجَّ كان مُوَفَّقًا مبرورًا.

قال الحسنُ البصريُّ رَحِمَهُ اللهُ: «الحجُّ المَبرورُ أن يرجِعَ زاهِدًا فِي الدُّنيا، راغِبًا فِي الآخرة»[1].

---

(١) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ٢٣٨).

وقال الحافظُ ابنُ حَجَر رحمه الله: «فإنْ رَجَعَ خيرًا ممَّا كان؛ عُرِفَ أنَّه مَبرورٌ»[(١)].

ولهذا يتأكَّدُ على كُلِّ مُسلمٍ بعد حجِّه لبيتِ الله الحَرامِ أن يجتهدَ في تَكميلِ صلاحِ نَفسِه بالمحافظة على طاعة الله تبارك وتعالى، وأن لا يكون ﴿كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا﴾ [النحل:٩٢].

فكيفَ يستقيمُ أن يخرُجَ المؤمنُ مِن حَجِّه كيومَ ولدتْهُ أمُّه، ثُمَّ يُكِبُّ على الذُّنوبِ بعد الحجِّ؟! ويُقبِل على الخَطايا والآثامِ بعدَهُ؟! فهل هذا هو الشُّكرُ الواجِبُ لله تبارك وتعالى على تيسيرِهِ وتوفيقِه لأَداءِ هذا النُّسُكِ العَظيمِ؟!

۞ **ومن المسائل المهمَّةِ بعد الحجِّ**: أنْ لا يجزِمَ الحاجُّ لنَفسِه ولا لغَيرِه بأنَّ حَجَّه متقبَّلٌ ومبرورٌ، فقد قال الله سبحانه وتعالى في حالِ المُؤمنينَ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون:٦٠]، فقالتْ عائشةُ رضي الله عنها: يا رسول الله؛ أَهُوَ الرَّجُلُ يَزْني ويَسرِقُ ويشرَبُ الخَمرَ؟ قال صلى الله عليه وسلم: «**لا يا بِنتَ الصِّدِّيقِ، ولَكِنَّهُ الرَّجُلُ يصومُ ويُصَلِّي ويتصدَّقُ؛ وهُوَ يَخافُ أَن لا يُقبلَ منهُ**»[(٢)].

---

(١) «فتح الباري» (٣/ ٣٨٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٢٥٧٠٥).

فحالُ المؤمنِ أنَّه يجتهدُ في إتقانِ عبادته وتكميلها، ثمَّ يسألُ اللهَ أن يقبلَها منه، من غيرِ أن يُدلِيَ بها على ربِّه، أو يَمُنَّ بطاعتِهِ عليه، أو تعظُمَ وتَكبُرَ في نفسِهِ! فهذه كلُّها مِن أماراتِ الحِرمان، ومِن دلائلِ الخُسْران، قال الله ﷻ: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات:١٧].

فالفَضلُ مِنَ الله تبارك وتعالى، والنِّعمةُ والتَّوفيقُ بيده ﷻ، ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [سورة هود:٨٨].

۞ **ومن المسائل المهمَّةِ كذلك**: أنْ يسألَ الحاجُّ ربَّه ﷻ في تمام حجِّه أن يجعلَه مبرورًا، فعن عبدِ الرَّحمنِ بنِ يزيدَ قال: «أَفَضتُ مع عبدِ اللهِ بن مسعودٍ رضي الله عنه فَرمى سَبع حَصَياتٍ، يُكَبِّرُ مع كُلِّ حَصاةٍ، واستَبطَنَ الوادِي حتَّى إذا فرَغَ، قال: **اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ حَجًّا مَبْرُورًا، وذَنبًا مَغفُورًا** -ثُمَّ قال:- هكذا رَأَيتُ الذي أُنزِلَتْ عليهِ سُورَةُ البقرَةِ صَنَعَ»(١).

وقال الهَيثَمُ بنُ حَنَشٍ: سمِعتُ ابنَ عُمرَ رضي الله عنهما حينَ رَمى الجِمارَ يقُولُ: «**اللَّهمَّ اجعَلْهُ حَجًّا مَبرُورًا، وذَنبًا مَغْفُورًا**»(٢).

---

(١) أخرجه ابنُ أبي شيبةَ في «مسنده» (١٤٠١٦).

(٢) المصدر السابق (١٤٠١٧).

وقالَ المُغيرَةُ: قُلْتُ لإِبراهيمَ النَّخعيِّ: ما أَقولُ إذا رَمَيتُ الجَمرَةَ؟ قال: «قُل: **اللَّهُمَّ اجْعَلهُ حَجًّا مَبرُورًا، وذَنبًا مَغفُورًا**»[١].

وعن عبد الرَّحمن بنِ الأَسْودِ، عن أَبيه، قال: «كان عَبْد الله يُعلِّمُنا أن نقولَ إذا فَرغْنا مِن رَمْيِ الجَمرةِ: **اللهُمَّ اجعلْهُ حَجًّا مَبرورًا، وذنبًا مَغفُورًا**»[٢].

قال ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللهُ: «فما دعا الحاجُّ لنفسِه ولا دعا له غيرُه بأحسَنَ مِنَ الدُّعاءِ بأن يكونَ حَجُّه مَبرورًا؛ ولهذا يُشرَعُ للحاجِّ إذا فَرغَ مِنْ أَعمالِ حجِّه وشَرعَ في التَّحَلُّلِ مِن إِحْرامِه برَمْيِ جَمرةِ العَقَبةِ يومَ النَّحرِ أن يقول: **اللَّهم اجْعلْه حَجًّا مبرورًا، وسَعْيًا مشكورًا، وذنبًا مَغفورًا** ... وكذلك يُدعىٰ للقَادِمِ مِنَ الحَجِّ بأَنْ يَجعلَ الله حَجَّهُ مَبرورًا»[٣].

۞ **ومن المسائل المهمَّةِ**: أن يجتهدَ الحاجُّ بالدُّعاءِ بالقَبولِ، ويرجو اللهَ العظيمَ أن يتقبَّل منه حجَّهُ، ويكون في الوقتِ نفسِه حسنَ الظَّنِّ بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ أنْ لا يُخَيِّبَ رَجاءَه، ولا يَرُدَّ دُعاءَه، وأَنْ يُكرِمَه بالقَبولِ، واللهُ عندَ ظَنِّ عبدِه بِه، فليَظُنَّ العبدُ بربِّه خَيرًا.

---

(١) أخرجه ابنُ أبي شيبةَ في «مسنده» (١٤٠٢٠).
(٢) أخرجه ابن أبي خيثمةَ في «التاريخ الكبير» (٣٨٩١).
(٣) «لطائف المعارف» (ص ١٥١-١٥٢).

وقد ذكرَ اللهُ ﷻ عن خليله إبراهيمَ وابنِه إسماعيلَ عليهما السلام أنَّهما كانا يدعوان بهذا الدُّعاء عند بِنائهما للكعبةِ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٢٧]، فرُغْمَ أنَّهما في عَمَلٍ صالحٍ جَليلٍ من أجلِّ الأعمالِ؛ فقد كانا يسألان الله أن يتقبَّل منهما.

ولهذا كان وُهيبُ بنُ الوَردِ رحمه الله إذا قرأَ هذه الآيةَ بكى، وقال: «يا خليلَ الرَّحمن ترفَعُ قوائِمَ بيتِ الرَّحمن؛ وأنتَ مُشفِقٌ أن لا يُقبلَ مِنك؟!»[١].

وروى ابن أبي الدنيا في كتابه «حُسْنُ الظنِّ بالله» عن عبد الله ابن المبارك رحمه الله قال: «جِئتُ إلى سُفيانَ رحمه الله عشيةَ عرفةَ وهو جاثٍ على رُكبتيهِ وعَيناه تَهْمِلان، فبَكَيتُ، فالتَفَتَ إِليَّ فقال: ما شأنُكَ؟! فقلتُ: مَن أَسْوأُ هذا الجَمعِ حالًا؟ قال: الذي يَظُنُّ أنَّ اللهَ ﷯ لا يغفِرُ لهم!»[٢].

ولهذا مَضَتِ السُّنَّةُ مِن زَمَنِ الصَّحابةِ رضي الله عنهم إلى يومِنا هذا؛ إذا لَقِيَ المسلمون بعضَهم بعضًا في عيدِ الفِطر وعيدِ الأَضحَى يقول بعضُهم لبعضٍ: «**تقبَّل الله مِنَّا ومنكم**».

(١) «تفسير ابن أبي حاتم» (١٢٤٠).

(٢) «حسن الظن بالله» (٧٨).

قال ابنُ بطَّة رحمه الله: «وكذلك يقولُ مَن قَدِمَ مِن حَجَّةٍ بعدَ فراغِه مِن حَجِّه وعُمْرَته وقضاءِ جَميعِ مناسِكِه إذا سُئِلَ عن حجِّه: «قَدْ حَجَجْنا، ما بَقِيَ غيرُ القَبولِ» ... وبذلك يُتَلَقَّىٰ الحاجُّ فيُقال له: «قَبِلَ اللهُ حَجَّك، وزَكَّىٰ عمَلَك»، وكذا يتلاقَىٰ النَّاس عند انقضاءِ شَهرِ رمضان؛ فيقول بعضُهم لبعضٍ: «**قَبِلَ اللهُ مِنَّا ومِنكَ**»، بهذا مَضَتْ سُنَّةُ المُسلمين، وعليه جَرَتْ عادَاتُهم، وأخذَهُ خَلَفُهم عن سَلَفِهم»(١).

اللهمَّ يا حيُّ يا قيُّوم، يا ذا الجَلالِ والإكرامِ؛ تقبَّل مِن حُجَّاجِ بَيتِ الله حجَّهُم، واشْكُر سَعْيَهم، واغْفِر ذُنُوبَهم، وتجاوَزْ عن سيِّئاتهم، وأَعِدْهُم إلىٰ بُلدانِهم كيومَ ولدتهم أُمَّهاتُهم، مغفورةً ذُنُوبُهم، واجْعله لهم أَجمعين حَجًّا مَبرورًا، وسَعْيًا مَشْكورًا، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ عبدِه ورَسُولِه نبيِّنا مُحمَّدٍ، وعلىٰ آلِه وصَحْبِه أَجمعين، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

(١) «الإبانة» (٢/ ٨٧٣) باختصار.



مكتب إتقان
للتحقيق والدراسات العلمية

صفات الحج المبرور

الجعيفان